

تجليات المطر وحقوله الدلالية في شعر عبد الوهاب البياتي

ليلا يادگاري^١، ناصر زارع^{٢*}، رسول بلاوي^٣

١. طالبة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس، بوشهر

٢. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس، بوشهر

٣. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس، بوشهر

تاريخ استلام البحث: ١٣٩٧/٠٤/٢٨ تاريخ قبول البحث: ١٣٩٨/٠١/١٩

الملخص

لا يكتفي شعراء العرب المعاصرون بالرؤية البصرية إزاء ما يرون حولهم من المظاهر الطبيعية بل يخلقون من عناصرها مواضيع هامة تساعدهم في تشكيل الصورة الفنية والأدبية لنصّهم الشعري. للشاعر العراقي المعاصر عبد الوهاب البياتي تجربة خاصّة في هذا المجال، فقد حظيت الظواهر الطبيعية ولاسيّما المطر بمكانة بارزة في شعره بمفاهيمه المتعدّدة. وبناء على ذلك كان الشاعر يوظّف هذه المفردة للتجديد في تشكيل صورته الشعرية وإغنائها. فالمطر يُعدّ من الوسائل التعبيرية التي اهتمّ بها البياتي بكثافة في عدد ملفت للنظر من قصائده. قد بُني هذا البحث على أساس المنهج التحليلي والإحصائيّ محاولاً تبيين الدور الثنائيّ الذي تلعبه مفردة (المطر) في ديوان الشاعر موضحاً دلالاتها العديدة إيجاباً وسلباً. وللمطر في شعر البياتي إيجاءات ورموز كثيرة عاجلنا من الإيجائيات الاخضرار، والثورة، والحياة، والتجديد، والضياع ومن السلبيات الموت، والوحدة، والتدمير، والحزن. وقد تبين لنا من دراسة لفظة (المطر) في قصائد البياتي أنّه استخدم هذه الفظة (١١٩) مرّة في المجموع، وقد وظّفها (٥٨) مرّة للدلالة على الإيجائيات و(٤٩) مرّة للدلالة على السلبيات، كما جاءت (١٢) مرّة في معناها الحقيقي. وهذا المقدار من استخدام هذه المفردة الرمزية، ينبعث من رؤية الشاعر إزاء الموت والحياة وعلى إثرهما اليأس والأمل الموجودين في نفسه في آن معاً.

الكلمات الرئيسية: الشعر العربي المعاصر؛ عبد الوهاب البياتي؛ المطر؛ الحقول الدلالية.

١. المقدمة

للطبيعة مكانة بارزة في الشعر العربي الحديث، بما فيها من نفحات إلهية تكشف الهموم والآلام البشرية إثر الحوادث السائدة والمثيرة للأحزان في أنحاء العالم. فهي كمرآة صافية بإمكانها أن تزيل آثار الألم من وجه البشر، والشاعر المعاصر عندما يجعل نفسه لسان أمته ويقصد أن يتحدث عن مكونات شعبه وأحاسيسهم فيضطرّ إلى توظيف كل شيء يراه ملائماً مع رؤيته وفكرته، وأفضل ما يجده بسهولة حوله هو هذه الظواهر المتعددة للطبيعة بما فيها من آثار ومعالم موحية بالأمر السلبية والإيجابية لإبراز أفكاره وأحاسيسه مستمداً منها اجتياز واقع الإنسان وتصوير صور الحياة المعاصرة والملبئة بالوقائع المثيرة للإعجاب، والحيوية، والفرح أو الوقائع المرّة والمنبعثة من القضايا السياسية والاجتماعية، والإنسانية في العصر الحديث. والمطر باعتباره عاملاً للخير والبركة والحيوية والنشوء يُعدّ من هذه الظواهر الطبيعية والذي حظي بمكانة واسعة في آثار الشعراء المعاصرين إلى حدّ بعيد. فانعكست هذه الظاهرة في الشعر العربي الحديث انعكاساً جديراً بالذكر واستخدامها الشعراء لتبيين موقفهم إزاء الحوادث والوقائع المفرحة أو المحزنة في العالم البشري. إنّ الشاعر المعاصر لا ينظر إلى المطر من جانب إيجابي فحسب، بل يعتقد أنّ المطر ليس دائماً مبشراً بالخير ويمكن أن يكون عاملاً للسلب، فيرى فيه الهدم والدمار والخراب.

عبد الوهاب البياتي، الشاعر العراقي المبدع الذي كان محامياً لشعبه العراقي المضطهد، استخدم لفظة (المطر) في شعره من جهتين: الجهة الإيجابية والجهة السلبية. إذ «يُعدّ البياتي واحداً من الشعراء الرواد الذين يمثّلون المدرسة الشعرية الجديدة. فقد غمس روحه في قضايا وطنه، وتكوّن لديه إحساس عميق بزيف الحضارة-مدينة، وإنساناً، وسلطة-، ولجأ في تعبيره عن ذلك إلى وسائل فنية جديدة» (يسير، ٢٠١٤م: ١٢٧)؛ فنجده يستعين بكلّ مفردة رمزية وموحية لتشكيل نصّه الشعري ويلجأ إليها لينقل أفكاره وأحاسيسه إلى القراء. وبما أنّ لدى البياتي توجهات متعدّدة للفظـة "المطر"، عزمنا على دراسة هذه الظاهرة الطبيعية ودلالاتها العديدة في قصائده وقد وجدنا أنّ الشاعر قد وظّفها في نتاجه الشعري بدلالات مختلفة ومتناقضة، ففي بعض الأحيان تظهر لنا دلالاتها الإيجابية وفي أحيان أخرى دلالاتها السلبية

تنبع أهمية البحث من عدم وجود دراسات سابقة تناولت الدلالات الكامنة لمفردة المطر في شعر البياتي، كما يهّمنا أسباب اختيار الشاعر لهذه المفردة لبيان أحاسيسه وأفكاره وأيضاً يهّمنا

كشفت المعاني والمفاهيم الكامنة وراء هذه المفردة الرمزية. ولهذا سعينا في هذا البحث إلى كشف مختلف الجوانب التي وظّف فيها الشاعر هذه المفردة في أشعاره من خلال المنهج التحليلي والإحصائي للدراسة.

١-١. أسئلة البحث

في هذه الدراسة سوف نحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما مدى توظيف مفردة «المطر» في شعر عبد الوهاب البياتي؟
- ما هي الأسباب التي دفعت عبد الوهاب البياتي إلى كثرة استخدام لفظة «المطر» في شعره؟
- ما هي الأغراض الدلالية التي قصدها عبد الوهاب البياتي في توظيفه لهذه اللفظة؟

١-٢. خلفية البحث

لقد تطرّق الباحثون إلى دراسة جوانب متعدّدة من آثار عبد الوهاب البياتي؛ منها اطروحة دكتوراه موسومة بـ "الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي" للباحث حسن عبد عودة حميدي الخاقاني في جامعة الكوفة عام ٢٠٠٦م والتي تناولت استعمال الشاعر للرمز والاسطورة وبيان الأسباب الكثيرة التي دعت له لاستعمالهما. ومنها رسالة قدّمتها الباحثة رشا عبد الحسن عبد العظيم إلى مجلس كلية الآداب جامعة القادسية، سنة ٢٠١٣م، تحت عنوان "رسالة الذات والآخر في شعر عبد الوهاب البياتي". توصّلت هذه الدراسة إلى أنّ تعامل البياتي مع الآخر التاريخي والاجتماعي والسياسي يرتبط بوعيه الفكري، كما أنّ الانفصال الوجودي عند الشاعر كان سبباً في أن يستعين الشاعر من عالمه الأول في تصوير ملامحه إلى عوالم إنسانية أخرى. ورسالة "الرؤيا الشعرية في بيانات عبد الوهاب البياتي: تجرّبي الشعرية أمّودجاً" للباحث بلخوجة عبد العزيز الذي قدّمها لجامعة أحمد بن بلة وهران، سنة ٢٠١٥م. سعى هذا الباحث أن يكشف عن مساندة البياتي لحركة التجديد في كتاب تجرّبي الشعرية للبياتي. وأمّا من الدراسات التي تناولت مفردة المطر فنذكر رسالة ماجستير موسومة بـ "دلالتهاى باران در شعر معاصر عرب (مطالعه موردى شاعران: بدر شاكر السياب، نازك الملائكة، نزار قباني ومحمود درويش)" الذي قدّمها عبد الله بيگي لجامعة شهيد آية الله مدني آذربيجان بمدينة تبريز، عام ١٣٩٥ش. وهذه الرسالة كما هو معلوم

من عنوانها والشخصيات المدروسة فيها لم تعالج المطر في شعر البياتي باعتباره شاعراً أحسن توظيف هذه المفردة بدلالات موحية. واطروحة دكتوراه معنونة بـ "دلالة المطر في الشعر الجاهلي: دراسة نسقية سياقية"، للباحث عادل بوديار بجامعة الحاج لخضر عام ٢٠١٥م. وأيضاً مقال مشترك ليحيى معروف وروشنك ويسى تحت عنوان "بررسی تطبیقی مفهوم نمادین باران در شعر سیاب و اخوان ثالث" منشور في مجلة ادبيات تطبيقي، السنة ٤، العدد ٧، عام ١٣٩١ش. توصلت الدراسة إلى أنّ الاضطرابات السياسيّة والاجتماعية المشتركة بينهما أدت إلى توظيف المطر بدلالات مشتركة كالعدالة، والحرية، والخطر، والاستبداد، والهدم و... في أشعارهما. وكذلك مقال لأبي ذر قاسمي آرائي وآخرين تحت عنوان "کارکردهای متناقض واژه باران در شعر شفيعي کدکنی و بدر شاکر السياب" المنشور في (فصلنامه تخصصی تحليل نقد متون زبان ادبيات فارسی)، العدد ١٩، عام ١٣٩٣ش. يتطرق المقال إلى دراسة الوظيفة الرمزية والمتناقضة للمطر في أشعار شفيعي كدکني وبدر شاکر السياب بدلالاته الإيجابية كالسرور، والخصب و... والسلبية كالموت، والهدم، والخيبة و... فهذه الدراسات السابقة كما نلاحظ من عناوينها لم تعالج موضوع بحثنا، وبهذا وقع اختيارنا على دراسة هذه المفردة في شعر البياتي، للوقوف على إفرازاتها الدلالية في تجربته الشعرية.

٢. المطر وتناقضه المفهومي في شعر عبد الوهاب البياتي

جاء في لسان العرب «المَطْرُ: الماء المنكسب من السحاب. والمَطْرُ ماءُ السحاب، والجمع أمطارٌ» (ابن منظور، ١٤١٠هـ، مطر) وفي العين «هو الماء المنسكب من السحاب» (الفراهيدي، ١٤٠٩هـ، ج٧: ٤٢٥) ويُعدّ في أنحاء العالم رمزاً للتأثيرات السماوية وهذه حقيقة واضحة أنّ المطر هو عنصر الإخصاب للأرض (شوالية وكربران، ١٣٧٩ش، ج٢: ١٧). تعود أهمية الماء والعناية به إلى العصور القديمة جداً حيث تناولته الأساطير، وقامت بمعالجة هذه القضية الحياتية للبشر، ف«الماء مبدأ أول تفرعت عنه جميع الكائنات الحية ذلك أنّ الأساطير التي عدت الماء أول مبدأ نشأ عنه جميع ما في الكون، كثيرة... أما أساطير الخلق العربية فلنا منها حكايات تفيد أنّ الأرض والسماء نشأتا من ماء» (عجينة، ١٩٩٤م، ج١: ١٣٧) فالماء المبدأ الأول لنشأة الكون، ف«تكاد أساطير العالم القديم تنتهي إلى أنّ الماء أصل نشأة الكون والإحياء. فقد تجلّى الماء -وما زال- للإنسان بوصفه أحد

العناصر التي عاينها في جميع أحوالها الصلبة والغازية والسائلة» (أنس وجود، ١٩٨٦م: ١١). «المطر فعل كوني هائل، لا يدر أحياناً إلا بعد أن يعاني الإنسان معاناة المخاض والولادة، فيأتي بعد سهر وتعب وتضرع وتوسل، وبعد أن تتم عملية الإخصاب والتزاوج. ريح الجنوب تلمح السحابة الخاوية فتمتلئ ماء وتتم الولادة وتفضي إلى مطر غزير ترفد الحياة بكل مقومات الخصب، وتحلب الرياح السحاب حلباً، أو تمره مرياً فيدر ضرع السحابة العظيم بخصب الحياة» (شمسي، ٢٠٠٨م: ٧٠).

ولهذه المفردة معانٍ متناقضة توحى إلى دلالات إيجابية وسلبية بحسب الظروف. وأما النظرة الإيجابية للمطر كانت من قدم الأيتام مع البشر ولاسيما العرب قبل الإسلام الذين أدركوا الجذب والفر في معظم حياتهم. فكان العربي «لحاجته إلى الغيث، وفراره من الجذب، وضنّه بالحياة، اضطرتته الحاجة إلى تعرف شأن المطر» (الجاحظ، ١٩٦٧م، ج ٦: ٣٠). وهذه العوامل جعلته متبّعاً لمواقع المطر. ف «أدرك الجاهلي بفطرته أنّ الطبيعة هي مصدر الماء، وأنّ الماء هو أساس الحياة، وأنّه هو سرّ الوجود، وأنّه هو مانح الحياة، وأنّه وجه للسعادة التي ينشدها الإنسان في حياته» (بوديار، ٢٠١٥م: ٣٧) فكان المطر عندهم سبباً لإحياء الأرض وخصبها. وكذلك «تجلى الماء في بعض الصور الشعريّة الجاهليّة رمزاً ينفى عناصر الحياة من خلال فعل التدمير الذي يمارسه السيل العارم» (المصدر نفسه: ٢٧١) «وقد جاءت صورة المطر من حيث هو عنصر متناقض في القرآن الكريم واضحة وضوحاً تاماً، فهو مادّة للحياة ومادّة للموت معاً، وكثيراً ما يذكر المطر في القرآن الكريم في موضع الانتقام والعذاب» (لازم رمضان، ٢٠١٢م: ٦٥١). وأما كونه عاملاً للحياة في الآيات القرآنيّة فيعود إلى الألفاظ التي تدلّ على المطر كالغيث والسحاب والمزن وغير ذلك، ولكن نفس لفظ المطر «لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام» (الجاحظ، ١٩٤٨م، ج ١: ٢٠). كما جاء في قوله تعالى: ﴿ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ (الفرقان: ٤٠).

وظّف الشاعر العربي (المطر) على مدى العصور الماضية حتّى الآن، فتطوّرت معانيه ودلالاته باختلاف الأزمنة لأنّ كلّ زمن له سماته وظروفه الخاصّة التي تختلف عمّا كان في الماضي. ونلاحظ أنّ الشعراء في العصور اللاحقة أي العصر العباسي والأندلسي وصفوا هذه الظاهرة السماويّة وكلّ ما يرتبط بها من الصواعق، والسحاب والمطر والمزن في أشعارهم بأبهى الصور وأجملها. فعلى سبيل المثال إنّ ابن الرومي يكثر من ذكر الربيع وما يتعلّق به كـ «الأمطار التي تسكب دمعها المدرار» (حسام، ٢٠١٧م: ٦٢). وكذلك إنّ ألفاظ الماء في ديوان ابن حمديس كثيرة جداً وتدلّ على الحياة

والروعة والموت والخوف والثورة وغير ذلك (استيتي، ٢٠٠٧م: ٣٣). وأمّا أبو تمام فمفردات «السحاب والمزن والدم والغيث والمطر والبرق ومشتقاتها عنده الخصب والنماء والاستمرار في الحياة» (العربي، ١٩٨٩م: ١٥٩).

وفي العصر المعاصر، إنّ الشاعر حسب تفكّراته المنبعثة من الظروف السياسية والاجتماعية يستمدّ من لفظة المطر لإبراز مشاعره وخلجات نفسه. وقد تطوّرت دلالات مفردة المطر في الشعر المعاصر بحسب تطوّر الظروف وقضايا الشعب المتعدّدة في هذا العصر كاستبداد والفقير والحرمان، فأخذت إيجاءات كثيرة ومتناقضة في الوقت نفسه. تكون «رمزية الماء أولاً باعتباره وسيلة تطهّر بل رمزاً للطهارة» (عجينة، ١٩٩٤م، ج ١: ٢٦٢) ثمّ لدلالته على الحياة، والعذوبة، والبهاء، والثورة وكذلك الموت، والخوف وما إلى ذلك من المفاهيم. والشاعر المعاصر يتّخذ المطر وسيلة للتعبير عن زوايا حياته التي تؤثر على أفكاره وأحاسيسه بشكل خاصّ، ولهذا كثر استعمال هذه المفردة بين الشعراء المعاصرين ومنهم عبد الوهاب البياتي. بما أنّ شعر البياتي مجموعة مزيجية من الأضداد كالحياة والموت، والحزن والفرح، والتشاؤم، والتفاؤل، فلهذا نجد مجموعة من الصور الحقيقية والجزائية لمفردة المطر كسائر المفردات الرمزية في شعره. وتحمل هذه اللفظة دلالات إيجابية تبشر بالاحضرار، والثورة، والحياة، والنور و...، وإيجاءات سلبية تشير إلى الموت، والتدمير، والحزن، والوحدة وغيرها من المضامين. وسنعالج هذه الأمور المتناقضة في ديوان البياتي في مبحثين منفصلين بغية الكشف عن جماليات هذا التوظيف ودلالاته الرمزية.

١-٢. الدلالات الإيجابية للمطر في شعر البياتي

إنّ الدلالات الإيجابية للمطر ناجمة عن الأهمية التي نراها في الماء، وإذا كان الماء المبدأ الأول لنشأة الكون ومنبعاً للحياة في الأرض واحضرارها بعد نزول المطر، فتأتي هذه الرؤية الإيجابية لنا بدلالات إيجابية توحى بالأمل والحياة وما إلى ذلك من المفاهيم الموجبة. والبياتي كسائر شعراء العرب المعاصرين يأتي للمطر بدلالات كثيرة مثل الاحضرار، والثورة، والحريّة، والحب، والحياة، والربيع، والطهارة، والنور، واليقظة. يرى الشاعر هذه الإيجاءات المثبتة في هذه اللفظة، فيستمدّ منها للتعبير عن آمال نفسه وآمال البشرية إلى جانب الميزات المختصة بهذه المفردة. نعالج فيما يأتي أربعة من هذه الدلالات حسب الأهمية ومواضع استعمالها في ديوان البياتي:

١-١-٢ . الاخضرار

ارتبطت حياة الإنسان منذ الأزل بالخضرة والاختضار، وهذا الأمر يعود إلى قصّة آدم وحوّاء. فحظيت الشجرة وهي أصل الخضرة منذ القدم باحترام الشعوب وبلغت حدّ التقديس، لأنّها تلازم الإنسان في احتياجاته اليومية طوال حياته (حقّاد، ٢٠١٢م: ١٠٢). والشيء الذي يعطي الحياة للأشجار والنباتات هو الماء المنزل من السماء، وبما أنّ الماء هو رمز الحياة، كذلك نرى نفس الرموز والدلالات الكامنة تحت لفظة المطر، موجودة في الخضرة، فكما الشجرة «تدلّ على الحياة والخلود، وتبارك المكان وتقدّسه، وتضفي عليه دلالات الصّحة، والخلود، والأمن، والحيويّة، تلك الدلالات التي يختزنها اللاشعور كموروث تراث إنساني» (حمّادة الكوسا، ٢٠٠٧م: ٢٠٤)، فالماء أيضاً يدلّ على نفس الدلالات والرموز. وبما أنّ الماء المصدر الأوّل لنشأة الحيوان والنبات والإنسان ومن ثمّ مصدر لبقائها فإنّ كلّ شيء يبقى حيّاً كما جاء في القرآن الكريم ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ (الأنبياء: ٣٠). يرى البياتي المطر سبباً للخضرة والحياة في عدّة قصائد وبطرق مختلفة، فمنها ما جاء في قصيدة "سفر الفقر والثورة" حيث يقول:

وكانت القصيدة / أسلحتي الوحيدة / في مدن العالم، في منازل الشريدة / بها
فقات أعين اللصوص والضفادع البليدة / من يشتري قصيدة؟ / ... / لقاء هذا
المطر الأخضر، هذي الزهرة الفريدة (البياتي، ٢٠٠٨م، ج٢: ٤٨-٤٩).

يلوّن الشاعر بداية هذه القصيدة بألوان من الحزن والغمّ باستعماله مفردات وعبارات تدلّ على الفقر، والحرمات مثل "الثلج، والفقر، وبلا وطن، والقبر، والنجمة المحطّمة، والذكريات الهرمة، وجليد أسود، ورماد أمطار، والمنفى، والقمر الميت" وكثير من هذه المفردات تكشف عن جوّ مفعم بالخيبة. ولكن لا يكتفي الشاعر بهذا الفضاء الخائق في القصيدة بل يسعى أن يجد منفذاً للخلاص من الموقف الذي يتورّط فيه. فينتقل من هذه الأمور المرعبة إلى الحثّ على الثورة ويتحقّق ذلك باستعماله تعابير موحية كالمطر الأخضر، والزهرة الفريدة. فالمطر في هذا السياق يرمز إلى الإحياء والحياة الجديدة واستمرارها. والشاعر أضاف إلى هذه المفردة صفةً تزداد أثر الاختضار واستدامة الحياة في النفوس. فيجعل بين المطر والخضرة ارتباطاً غير منفكّ بتلوين المطر باللون الأخضر. إنّ المطر الطبيعي لا يتّسم باللون الأخضر ولكن الشاعر أضفى على هذه النعمة الإلهية لوناً محبباً للنفوس يوحي بالحياة والبقاء حتى يتخلّص من آلامه وأحزانه المطلّة على القصيدة، ومن أجل

ترسيخ الفكرة وتأكيد ما جاء "بالزهرة الفريدة" في هذا السياق. ونجد هذه الصورة أيضاً في موضع آخر من ديوانه في "القصيدة الإغريقية"، إذ يقول:

واشتعلي حباً / يا قطراتِ المطرِ المتساقطِ في كلِّ الغاباتِ / كانتْ ترسمُ فوق
الرمْلِ عيناً وشفاهُ / ويداُ تستجدي قطراتِ المطرِ الخضرَاءِ (المصدر نفسه: ٣٨٥).

يشعر الشاعر بحاجة ملحة إلى الاخضرار ويرى تحقق هذا الأمل في المطر، فاستجاء الأيدي ليس للمطر فحسب بل يكون للمطر الذي معه الخضرة، واستخدام عبارة "ويداً تستجدي" تعبّر عن شدة الاحتياج إلى الحركة أو الحياة الأبدية، كما نرى أنّ قطرات المطر بتساقطها في الغابات تشعل الحب أيضاً. كرّر الشاعر "قطرات المطر" مرتين في هذا المقبوس القصير فمرّة نعتها بالخضراء لدورها في انبعاث الحياة / الحب ومرّة "في كل الغابات"، والغابة في نفسها توحى بالاخضرار، فالمطر يبقى رمزاً للحب والحياة:

فلتمطري أيتها السحابةُ / أتيانَ شمتِ، فغداً تخضّرُ نيسابورُ / تعودُ لي من قبرها
المهجورِ / تمسحُ خدي وتروي الصخرَ والعظامَ (البياتي، ٢٠٠٨م، ج ٢: ٧٣).

يبدأ الشاعر قصيدته بموت عائشة التي استطاع الشاعر أن يجعلها «رمزاً أساسياً بين رموزه الشخصية للتعبير عن موضوعه الشعري وتحميد رؤاه إزاء الكون والحياة» (صدقي وعبد الله زاده، ٢٠٠٩م: ٤٥) فلهذا يسعى الشاعر أن يبحث عن شيء يعطيه حياة جديدة ويرى هذه النجاة في نزول المطر على نيسابور، المدينة التي يراها البياتي «مماثلة لبغداد التي تظهر دائماً في ذهنه بالفقر والهدم، لأنّ نيسابور بأقدميتها المضيئة ما استطاعت أن ترفع رأسها بعد هجمة المتتمردين والتدمير والآثار السيئة بعد هذا الخراب» (محسني نيا واخوان ماسوله، ١٣٩٢ش: ١٠٨) فهو يأمل أن تخضّر نيسابور أو بعبارة أخرى بغداد لأنّه يأمل دوماً أن تتحوّل بغداد إلى مدينة فاضلة متمثلة عنده في نيسابور. فـ «يتخذ الشاعر من هذه المحبوبة رمزاً للحرية أو الثورة من خلال مفهوم يستند على فكرة تولد الحياة من خلال الموت ... فعائشة رمز ثريّ عند البياتي، يتسع في ديوانه، وتتداخل مستوياته الواقعية والأسطورية والوجودية» (صدقي وعبد الله زاده، ٢٠٠٩م: ٥٠) وكان في هذه القصيدة صراع بين الموت والحياة، فلهذا يقفز الشاعر من جدران الموت على جدران الحياة بواسطة نزول المطر والخضرة الحاصلة منها. ويبدو أنّ الخضرة عنصراً غير منفكّ عن المطر في شعر البياتي

وهذا يؤيد كون المطر عاملاً للاخضرار، ومبشراً بالحياة الأبدية. لم يصّرح الشاعر بلفظة "المطر" مباشرة بل جاء بصيغة الأمر ثم النداء «فلتمطري أيّتها السحابة» فقد انتقل من الخطاب الانشائي إلى الاخباري للتقرير وترسيخ الفكرة.

٢، ١، ٢. الثورة

كان الانقلاب من الأمنيات المتعدّرة في ذاكرة البياتي ولكن مع هذا لم يجب أمله فكان يأمل دائماً في نجاة الإنسان، وأراد أن يجيبي هذه الأمنية بأشعاره من خلال الاستعانة بالأساطير والشخصيات التراثية المتعدّدة التي نجد صداها في كثير من قصائده بصور مختلفة. ومن الشخصيات التي ألح على حضورها في منجزه الشعري هي شخصية جمال عبدالناصر لما تحمله من دلالات ثورية حيث «كان البياتي يبحث عن منقذ يعلق عليه آماله في الثورة والخلاص من حال الانفصام والغربة، فوجد في جمال عبد الناصر بغيته، وقد عاش في كنفه حقبة ليست يسيرة» (حميدي الخاقاني، ٢٠٠٩م: ٥١). وفي هذا الصدد استدعى هذه الشخصية وأضفى عليها دلالات توحى بالثورة وقد قرئها بالمطر. ولا يخفى أنّ مفهوم "المطر" في هذه القصيدة المسماة بـ "إلى عبد الناصر الإنسان" له مكانة عالية من حيث افرازاته الدلالية إذ أنّ الشاعر يرى عبد الناصر أشبه بالمطر الذي بإمكانه أن يهزّ الشعب العراقي للقيام بثورة شاملة في هذا البلد القفر فيقول:

وهذا الثائر الإنسان عبر سنابل القمح / يهزّ سلاسل الرياح / مع المطر / مع
التاريخ والقدر / ويفتح الربيع الباب / فيا شعراء فجر الثورة المنجاب / قصائدكم
له، لتكن بلا حجاب / فهذا المارد الثائر إنسان / يزنح صخرة التاريخ، يوقد
شمعة في الليل للإنسان (البياتي، ٢٠٠٨م، ج ٢: ٧-٨).

كان البياتي يحبّ وطنه ولكن هذا الحب ما كان يمنعه عن معالجة الموم البشرية والاعتناء بها، فيتجلّى أنّه «في شعره يعشق العراق، وفي العراق يعشق بغداد وبابل، وفي بابل يعشق الإنسانية والإنسان، ويطمح إلى الأسمى ويربط الحاضر بالماضي ويفتحهما على المستقبل المنشود» (قيسومة، ١٩٩٧م: ١٣). وهذا العشق والاحتفاء بالوطن كان بارزاً في تعبيره عن التغيير والوصول إلى الثورة في كثير من قصائده. يرى الشاعر تحقّق الثورة في وجود جمال عبد الناصر فيستدعي هذه الشخصية القومية لتهييج مشاعر العراقيين تجاه وطنهم وفي هذا الصدد يركّز على مفردات مهيّجة منها "المطر" باعتباره عاملاً موحياً بالتجديد والحياة والربيع والخصب والنماء. المطر رمز للثورة بما

فيه من بُشْرِى للبعث والإحياء، فالشاعر بوساطة حشد عدد من المظاهر الطبيعية كالمطر، والريح، والريبع، والصخرة يرسم صورة حاملة تؤدّي إلى إضاءة شمعة في ليل البشريّة وذاك على أيدي عبد الناصر الخارقة. والشاعر من خلال تكرار "مع" في هذه العبارة «معَ المطر / مع التاريخ والقدر» كأثّه استعان بما بدل حرف العطف (والتاريخ والقدر) وبذلك اتخذ المطر معادلاً موضوعياً لتاريخ البلد وقدره.

ومن دلالات المطر كونه مظهراً للثورة تظهر في المقطع الثاني من قصيدة "محنة أبي العلاء" حيث يقول الشاعر فيها:

وغسلَ المطر / ذوائبَ الشجر / أنزَعُ نفسي في بلاطِ قصره، وأكسِرُ الحجر / أشدُّ
في قيثارتي الوتر / أمُدُّ للسحر / يدي التي تَنَلَّحَتْ / ... / أمُدُّها، لِتَنفِخَ الحياءَ
في الجماد / لتزرعَ الأوراد / أمُدُّها للشمس والريح والمطر / لإخوتي البَشَرَ (البياتي،
٢٠٠٨م، ج ٢: ٢٦-٢٧).

يبدو هناك صراع دائم في هذه القصيدة بين الأمير مظهر الاستبداد وبين الشاعر صاحب الأيدي البيضاء لمجتمعه وللمجتمع البشري. يأتي الشاعر بمفردة المطر خلال هذه المقارعة مرّتين، ففي المرّة الأولى يغسل المطر ذوائب الشجر وهذه إشارة إلى بدء الحركة لأنّه يأتي بعده بعبارة "أنزع نفسي في بلاط قصره وأكسر الحجر"، فالمطر بداية للحياة والحركة لأنّ هذه الظاهرة الطبيعيّة كما بنزلها لتطفّ الجو بإمكانها أيضاً أن تطهّر الفساد والظلم والاستبداد. وفي نهاية النصّ يؤكّد على هذا الأمر بمدّ أيديه للسحر لطلب الحياة مستجدياً المطر والشمس والريح. الشاعر يبحث عن ولادة جديدة للحياة بإشارته إلى غسل المطر لذوائب الشجر، فهو يطمع للتغيير والانبعاث نحو مستقبل أفضل للشعوب من أجل الحصول على الحرّيّة المبتغاة. فيجب اجتماع جميع هذه العوامل ليتمّ الوصول إلى الحرّيّة والاستقلال إثر الثورة التي يتمنّاها الشاعر للبشريّة بأكملها.

٣-١-٢ . الحياة والتجدد

يرمز لفظ المطر عند البياتي في بعض الأحيان للبعث والإحياء، وهذه الخصوصيّة من الإيجابيات التي نجدها عنده، فكما يكون المطر في الطبيعة وفي الموروث البشريّ رمزاً للحياة فيإمكانه أيضاً أن يثير الهمة في النفوس لإنشاء الحركة والتغيير في الوضعية الموجودة لبلد الشاعر المضطهد. وآثار هذه الصفة ظاهرة في قصيدة "الأرض الطيبة" إذ يقول:

وفي قرّيتي، كان أطفأنا / يَغْتَوّن للأرض غبّ المطر / وكانَ الربيعُ يَهْزُ الحياةُ /
بساعديه في دروبِ القمر (المصدر نفسه، ج: ١: ٢٣٧).

إنّ المطر هذا العطاء الإلهي الذي أهدى للبشر يعيد الحياة للأرض، ويعطي للإنسان حسناً جميلاً يزيل الهموم ولو كانت هذه الهموم ناتجة من الجوع والحزن والألم. عبد الوهاب البياتي يبدأ قصيدته هذه بصورة جميلة وهي صورة غناء الأطفال بعد المطر في قرّيته المسماة عنده بالأرض الطيبة. فهذه الأرض لا تستحق كل هذه المصائب الجسام، ولا بدّ لها أن تتخلّص في يومٍ ما من هذه المحن والشدائد وتنعم بحياة كريمة هادئة. والمطر بداية حياة جديدة إذ يلي بعده فصل الربيع الذي يحيي روح الحياة في الأرض ويوحى بهذا المعنى توظيف الشاعر لمفردات "يغتون، والقرية، والربيع، ويهزّ الحياة"، فكلّ هذه العناصر ترسم صورة جميلة عن جريان الحياة رغم الظروف الصعبة والمؤلمة. وأما السلطة الحاكمة فهي سبب اليأس وبثّ الرعب بين صفوف الناس، كما نرى نظير هذه الخيبة في قصيدة "العودة من بابل" إذ نقرأ فيها:

بابل تحتّ قدم الزمان / تنتظرُ البعث، فيا عشتار / قومي، امثلي الجرار / ... /
ولتنزلي الأمطارُ في هذه الخرائب الكثيبة / ... / صحتّ على أطلالها: عشتار!
/ فصاحت الأشجار / عشتار، يا عشتار، يا عشتار! / تصدّع الجدار / وغاب في
الخرائبِ القمر / وأنهمّر المطر (المصدر نفسه، ج: ٢: ٧٧-٧٨).

نلاحظ أنّ الموت قد ألقى ظلاله على القصيدة كلّها، ولهذا ينادي الشاعر عشتار آلهة الخصب والبعث عدّة مرّات في القصيدة لكي تبعث الحياة في روح المدينة، ولكن هذا الصياح لا جدوى له وكثرة تكرار النداء تدلّ على اليأس في تحقّق التغيير والتجدّد. و«الشاعر يعيش على انتظار الانبعاث لأنّه يؤمن بحتمية اشتعال الثورة التي تحرق مظاهر الموت المختلفة وتعيد خلق الكون من جديد» (عوض، ١٩٧٤م: ١٣٢) ويتحقّق هذا الأمر بظهور بصيص من الأمل في نفس الشاعر وفي حلمه وهو انهمار المطر ونزول الأمطار لإزالة الموت وانفتاح نافذة إلى الإحياء والانبعاث. ذكر البياتي لفظة "الأمطار" أولاً بصيغة الجمع "ولتنزلي الأمطارُ في هذه الخرائب الكثيبة" لوجود كثرة هذه الخرائب في البلاد واحتياجها لأمطار غزيرة تتمكّن من إحياءها، فعندما استعانت الأشجار بعشتار بدأ المطر ينهمر.

٤-١-٢. النور والضياء

يبحث الشاعر عن النور والإشراق للتحزّر من برائن الظلام والإرهاب، فيأوي إلى المطر ليتحنفه شعاعاً من الضوء. يقول البياتي في المقطع السادس المسمّى بـ "أمطار" من قصيدة "قصائد من فينيا":

سَتَغْسَلُ الأمطار / نافذتي / سَيَفْتَحُ النهار / لنا طريقاً واحداً في ليلِ أوروبا /
فَسْتَتَفِقُ / مِنْ نومنا العميق / سَيَحْمِلُ القطار / لنا هدايا من بلادِ الثلج والأزهار /
لَكُنْما القطار / مَرَّ، وَكُنْتُ نائماً / حبيبي ... القطار (البياتي، ٢٠٠٨م، ج١:
٣٩٣).

إنّ الدلالات التي يستلهمها القارئ من هذا النص تكون ذات طابع إيجابي لأنّ «الأمطار هي المصدر الدائم للحياة والنمو الذي يغدّي المستقبل» (محمد، ٢٠٠٢م: ٣٨)، وبالتالي يتوقّع المتلقّي أن يواجه ما يدلّ على تلك الدلالات، ولكن الشاعر يدمر الصورة التي رسمها أثناء القصيدة لأنّ قطار الهدايا قد مرّ وهو كان في النوم. ويستدعي البياتي الأمطار لتنظيف النافذة فيراها عاملاً للطهارة وإزالة الأوساخ ويأتي على إثرها بالنهار والضوء الذي يزيل عتمة الليل، ولهذا فإنّ المطر هنا يرمز للنور والخصب، لأنّ الشاعر قرنه بضوء النهار. وكأنّ المطر والنهار عنصران مترابطان غير منفكّان في شعر البياتي إذ استخدمهما في مواضع أخرى من ديوانه أيضاً. وأمّا من النماذج الأخرى التي تدل على ارتباط المطر بالنور فما نقرأه في قصيدة "الحجر":

وها أنا أحمَلُ في نَقالةِ الموتى، إلى مدينتي، حجر / أمُدُّ كَفِّي مثلَ شَحَاذٍ إلى المطر /
لعلّ قطرةً تُبَلِّلُ الزجاج، تنقُبُ الظلام (المصدر نفسه، ج٢: ٨٢).

«فقد التزم البياتي قضية الإنسان بالإنسان» (عوض، ١٩٧٤م: ١٢٨) ولهذا يبحث عن بارقة من الأمل يجدها في المطر. ونلاحظ أنّ شدة حاجة الشاعر إلى إزالة الظلمات تبدو ظاهرة في عبارة "أمُدُّ كَفِّي مثل شَحَاذٍ إلى المطر"، فيرسم البياتي بلفظة "الشحاذ" صورة من حيبته الهائلة في تغيير الأوضاع ولكن مع هذا لا يقنط ويأمل في قطرة من المطر لثقب الظلام وتبديده. ورضا الشاعر لنزول قطرة من المطر فحسب، تأكيد لشدة هذه الحاجة.

٢-٢. الدلالات السلبية للمطر في شعر البياتي

للمطر دلالات سلبية عديدة في شعر عبد الوهاب البياتي، فالمطر كما يبشّر بالحياة، ينذر بالموت أيضاً. مع أنّ المطر يثير الاسترخاء والبهجة ولكن البياتي لا يستعمله في منجزه الشعري للجمال والإيجابيات فقط، بل نرى استخدام هذه المفردة في مواضع سلبية عديدة كالموت، والوحدة، والشقاء، والتدمير، والحزن، والغرق، والعذاب، والسواد، والبكاء، و... وفي ما يأتي نتطرق إلى معالجة أربعة منها بحسب الأهمية:

١-٢-٢. التدمير

يُعدّ التدمير من الدلالات السلبية للمطر في شعر البياتي وبالخصوص عندما تأتي هذه المفردة بصيغة الجمع الدالة على الكثافة المؤدية للدمار، فعلى سبيل المثال يعبر الشاعر عن هذه الدلالة في المقطع الثاني من قصيدة "مرثية إلى ناظم حكمت" حيث يقول:

كان قطار الليل في الأمطار / يُعبّر جسّر العالم المنهار (البياتي، ٢٠٠١م، ج ١: ٤١٣).

القطار هنا رمز للسفر والترحال وقد قرنه الشاعر بالليل بما فيه من الظلام والسواد. فتبدو هذه الرحلة لا خير فيها بل كلّ ما نرى فيها تخريب ودمار لأنّ هذا القطار يعبر العالم المنهار في الليل وتحت الأمطار، الأمطار التي تحمل معها الخراب بدل الإحصاب وال عمران في هذا المقطع الشعري. وهذه الصورة التي رسمها الشاعر تشير إلى التدمير حتّى تؤدّي في نهاية القصيدة إلى الانتحار. فكثافة المطر المفهومة من صيغة الجمع مع التركيز على تراكيب كقطار ليل، وجسر العالم المنهار، توحى بالتدمير والتحطيم. وكذلك يقول الشاعر في قصيدة "الصحف الصفراء":

الصحف الصفراء في زماننا / توتّر الألقاب / ... / أبطأها مُزيفو النقود والتاريخ
والأفكار / ولاعبو الحبال والمهرجون كاتمو الأسرار / وجوقة الأوغاد والأشرار /
رأيتهم في كلّ أرضٍ حبلت بالرعدي والأمطار / تحت نعال الكادحين ويد الثوار
(المصدر نفسه، ج ١: ٤٧٨).

إنّ المطر يرمز هنا لتدمير الصحف تحت نعال الكادحين ويد الثوار، لأنّ المطر يستطيع أن يبللها ويسبب إزالتها. يقصد الشاعر بهذا التعبير أنّه لا قيمة لهذه الصحف بين عامّة الناس، فيعبّر عن خسرتها وحقارتها بابتلالها وتمزّقها على أيدي الثوار. وتركيز الشاعر على مفردة "الرعدي" في

عبارة "حبلت بالرعد والأمطار" جاءت لغرض بلاغي مقصود، فهذا الرعد يوحي بالخوف والتوتر، وعطف "الأمطار" عليه بصيغة الجمع ينقل للمتلقي دلالات سلبية متجسدة بالتهويل والتدمير.

٢-٢-٢ . الحزن

نالت الغربة في شعر عبد الوهاب البياتي عناية وافرة ومن ثمّ قد تجلّت مظاهر الحزن فيها بصورة وافرة. فالفضاء الحزين والمخيّم على أشعار البياتي ينبع من منفاه وغربته التي سبّبت ابتعاده عن الأهل والأحبّة، فجاء شعره مبيّناً حالاته في الغربة كما نقرأ في قصيدة "أغنية جديدة إلى ولدي علي":

كناري الصغير / وجهك والسماء / تمطر في منفاي، في مدينتي / ... / فإني
حزين / تمطر في قلبي، وفي مدينتي السماء (المصدر نفسه: ٢٧٣-٢٧٤).

يؤكد الشاعر على نزول المطر في منفاه ومدينته مرتين لمزيد من التأثير على المتلقي. يكرّر فعل "تمطر" ليبين مدى حزنه في الغربة بعيداً عن ولده وزوجته، فتأكيد الشاعر على حنينه إلى الولد والأهل واضحة وجلية في القصيدة. كذلك فإنّ الشاعر فضلاً عن إبراز حزنه يأتي بعبارة "فإني حزين" قبل أن يؤكد مرة أخرى على نزول المطر في منفاه وغربته. فالمطر هنا يوحي بالحزن والتحصّر. وأمّا حزن الشاعر فلا يرتبط بأهله فحسب، بل هناك كثير من الوقائع تثير حزنه، فمنها ما نقرأه في "قصيدة كلمات لا تموت" حيث يقول البياتي:

كلماتي في المرفأ / تنتظر الإبحار / ... / فأنا أنتظر المدّ لأرحل / يا منديلاً /
بالدمع مبلّل / وأنا أبصر / وسمائي تمطر / عبر الظلمات / أحزان الفقراء / وهمو
يكون / تحت الشُّرُفات / في المدن المقهورة (المصدر نفسه، ج ١: ٣٨٠-٣٨١).

يشبه الشاعر أحزان الفقراء بالمطر المنزل من السماء، فيرى السماء تمطر أحزان الفقراء. وتشبيهه الدموع بالأمطار إثر الأحزان يوحي بدلالات مفردة "المطر" على أجواء الحزن العام في القصيدة. فهذا النص طافح بكلمات مائية كالمرفأ والإبحار والمدّ والدمع ومبلّل التي تتعاقد دلاليّاً مع مفردة المطر وترفده بطاقة دلالية حزينة.

٢-٢-٣ . الموت

هناك عدد كبير من قصائد البياتي يعرض فيها الموت بأنواع متعدّدة بوساطة مفردات موحية منها

"المطر". يقول الشاعر في المقطع الثاني عشر من قصيدة "قصائد من فينيا":

حضارة تنهار / قلب من الطين / وعينان بلا قرار / يجف في بغيرهما النهار /
عاهرة خلقتها القطار / في ليل أوروبا بلا دثار / تموت تحت البرد والأمطار (المصدر
نفسه: ٣٩٩).

يهجم البياتي بأشدد العبارات على الحضارة الغربية فيرفضها ويستفيد هنا من لفظة "المطر" بصيغة الجمع ويرى الموت متجسداً في هذه الظاهرة الموحية بالخير والحياة. كل الألفاظ المستعملة كـ "تنهار، يجف، عاهرة، تموت، و..." تدل على كراهة الشاعر من الحضارة الغربية والمطر هنا ليس مظهراً للحياة بل يكون عاملاً للموت بناء على الجو العام الذي يطغى على النص الشعري. وما يشوّه صورة "الأمطار" في هذا السياق، عطفها على مفردة "البرد" حيث تكتمل معها صورة الموت. ويقول الشاعر في قصيدة "ثلاثة رسوم مائية":

وعلى سطوح منازل المدن البعيدة تمطرين / وأنا أموت كقطرة المطر الحزين / ... /
وأنا أموت كقطرة المطر الحزين / على وجوه العابرين (المصدر نفسه، ج ٢: ٢٢٩).

إنّ الشعور بالغرابة والاعتراب في المنفى جعل البياتي شاعراً حزيناً يتمنى التخلص من الظروف المفروضة عليه، فيرى نفسه كقطرة من المطر تسقط على وجوه العابرين. مع أنّ المطر مظهر للبهجة والنضارة والحياة ولكن في هذا السياق يأخذ دلالة عكسية تخالف المعهود في أجواء من الموت والحزن والحنين إلى الوطن. وبما أنّ المطر اقترن بالموت في هذا السياق نرى الشاعر بلاغياً يأتي بهذه الكلمة بشكل مفرد كما أضافها للقطرة الواحدة لتجسيد ضعفها، ونعتها بالحزن ليصوّر مدى استسلامها وخواءها أمام شبح الموت.

٤-٢-٢ . الوحدة

إنّ العيش في المنفى بعيداً عن الأهل والأصدقاء، جعل البياتي يشعر بالوحدة إلى حد بعيد، وللتعبير عن هذا الإحساس المؤلم جاء بمفردات بإمكانها أن تبين وحشته بشكل أدق، ومنها مفردة "المطر" بكل ما فيها من الرموز والشحنات الدلالية المثيرة والفاعلة، ولكن الشاعر لا يأخذ من المطر إحساساً رائعاً ومهدئاً بل يرى المطر يجلب له الغم والحزن والوحشة. وقد نشعر بشدة انفراد الشاعر ووحده في المقطع التاسع من قصيدة "قصائد من فينيا" حيث يقول:

كقطرة المطر / كنتُ وحيداً / آه يا حبيبتى، كقطرة المطر / لا تخزني / سأشتري
غداً لك القمر / ... / لكنني، اليوم، وحيد / آه يا حبيبتى / كقطرة المطر (المصدر
نفسه، ج ١: ٣٩٦).

نرى تأثر الشاعر بالوحدة والعزلة بارزاً في القصيدة، إذ يرى نفسه شبيهاً بقطرة من المطر حتى يصل إلى نهاية النص وهو لا يزال يشعر بالوحدة. وأما قصده من الإتيان بعبارة "قطرة المطر"، يعبر عن أزمة وحدته، فكأنه أشبه بقطرة ماء قد تحلقت عن سائر القطرات وأصبحت وحيدة. والبياتي ألح بتعابيره على تكرار المشبه به (كقطرة المطر) إذ جاء به في صدر الجملة وختمها حتى يؤكد على مضاضة الغربة وفاعلية المشبه به ودلالاته الموحية بالوحدة.

في ما يشكو الشاعر من الوحدة في قصيدة "عشاق في المنفى" أيضاً ويقول:

- وأنا ... / - وأنت؟ / - أنا وحيد! / كقطرة المطر العقيم، أنا وحيد! / -
وهؤلاء؟ / - مثلي ومثلك يحفرون قبورهم عبر الجدار (المصدر نفسه، ج ١: ١٦٣).

يجسّم الشاعر غربته ووحده في المطر ويرى نفسه كقطرة وحيدة، ولكن مع هذا يضيف الشاعر إلى المطر صفة العقم لكي يعزّر بها شدة حزنه الناتج عن الوحدة وعدم استطاعته في تغيير الظروف الكئيبة. فضلاً عن هذا يكرّر الشاعر عبارة "أنا الوحيد" مرتين ومن دون أيّ فاصل بينهما للتأكيد على ما يعاني منه في الغربة، وكأنه يتأمل أن ينقذه أحدهم من الوحشة التي أحاطته. وتركيز الشاعر على الاستفهام يدل على مدى حيرته وقلقه في الوحدة.

١-٣. النتيجة

تمكنا من خلال دراسة مفردة "المطر" في شعر عبد الوهاب البياتي من تبين موقف الشاعر إزاء هذه المفردة ودلالاتها فقد أصبحت عنده ليست مفردة تعني عنصراً من عناصر الطبيعة بل استحال إلى لفظة سحرية دالة، و يكون الشاعر قد شحن هذه المفردة بطاقات دلالية جديدة ومثيرة. ظهر لنا أنّ المطر له دلالات عديدة منها إيجابية كالثورة، والحياة، والاحضرار، والنور، ومنها سلبية كالموت، والوحدة، والتدمير، والحزن؛ وقد جاءت هذه المفردة في مواضع قليلة بمعناها الحقيقي. ونظرة البياتي هذه بالنسبة إلى المطر متلائمة مع رؤيته الخاصة إلى اليأس والأمل، وكذلك الموت والحياة. عندما يواجه المتلقي هذه المفردة من منظر إيجابي في بعض نصوص البياتي الشعرية

يُحسُّ أنَّه يجد تحت ظلِّ هذه الكلمة ملاذاً للنجاة من الكآبة والهمِّ وكلِّما يكدرُّ النفوس، فهذه المفردة تحمل في طياتها زخماً دلاليّاً يتجاوز المألوف من سماتها، فتعني للمتلقي الثورة الاجتماعية التي يريدها الشاعر أن تتفجر في البلد لتقضي على القحط والوضع المأساوي، وتحمل معها للمجتمع خيراً وخصباً وعدالة ورفاهية فكما يغيّر المطر الطبيعة، كذلك تغيّر الثورة المجتمع. بينما في الوقت نفسه يجد البياتي مفردة "المطر" مظهراً للخراب والموت والحزن والدمار في مواضع أخرى من ديوانه. ومن خلال قيامنا بعملية إحصائية لمفردة المطر في شعر عبد الوهاب البياتي ظهر لنا أنَّه قد استعمل هذه المفردة (١١٩) مرّة في أشعاره. منها (٥٨) مرّة للدلالات الإيجابية و(٤٩) مرّة للدلالات السلبية، كما جاءت (١٢) مرّة في معناها الحقيقي. وهذا التساوي التقريبي في توظيف الدلالات الإيجابية والسلبية يعود إلى التوازن الحاكم بين يأسسه ورجائه، بعبارة أخرى خيبة أمله في استحسان الظروف القاسية والمهيمنة على العالم البشريِّ عامّة والعالم العربيِّ خاصّة وتوقّعه، وأمله في تحقّق الثورة والتجديد وإيجاد مدينة فاضلة يتمنّاها.

المصادر

أ) عربي

كتب

القرآن الكريم

- ابن منظور المصري، أبي الفضل جمال الدين (١٤١٠ هـ)، لسان العرب، ط١، بيروت: دار صادر.
- أنس وجود، ثناء (١٩٨٦م)، رمز الماء في الأدب الجاهلي، الطبعة الأولى، عمان: مكتبة الشباب.
- البياتي، عبد الوهاب (٢٠٠٨م)، الأعمال الشعرية الكاملة، ج١ و٢، بيروت: دار العودة.
- الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (١٩٦٧م)، الحيوان، ج٦، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- _____ (١٩٤٨م/١٣٦٧هـ)، البيان والتبيين، ج١، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مؤسسة الخانجي.
- شمسي، حسن جبار محمد (٢٠٠٨م)، ملامح الرمز في الغزل العربي القديم، ط١، لندن: دار السيا.
- شواليه، ژان؛ آلن، كرينان، (١٣٧٩ش)، فرهنگ نمادها، ترجمه وتحقیق سودابه فضايي، ج٢، چاپ اول، تهران: جيحون.
- عجينة، محمد، (١٩٩٤م)، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ج١، ط١، بيروت: دار الفارابي.
- العربي، حسن درويش، (١٩٨٩م)، الشعراء المحدثون في العصر العباسي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الفراهيدي، خليل بن أحمد، (١٤٠٩هـ)، كتاب العين، ج٧، ط٢، قم: هجرت.
- قيسومة، منصور، (١٩٩٧م)، عبد الوهاب البياتي خمسون قصيدة حب، ط١، تونس: دار سحر للنشر.
- محمد، عبد الناصر حسن، (٢٠٠٢م)، سمويطقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي، القاهرة: دار النهضة العربية.

الدوريات

- استيتي، رأفت محمد سعد، (٢٠٠٧)، ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر ابن حمديس، رسالة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، فلسطين: جامعة النجاح الوطنية في نابلس.
- بوديار، عادل، (٢٠١٥م)، دلالة المطر في الشعر الجاهلي: دراسة نسقية سياقية، رسالة دكتوراه، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جامعة الحاج لخضر، باتنة.
- حسام، بسام اسماعيل عبد القادر، (٢٠١٧م/١٤٣٨هـ)، التشكيل الحسي في شعر الطبيعة العباسي القرن الثالث الهجري، أطروحة دكتوراه، فلسطين: الجامعة الإسلامية بغزة.

تجليات المطر وحقوله الدلالية في شعر عبد الوهاب البياتي ناصر زارع، رسول بلاوي، ليلا يادگاري

حقّاد، صبرينة، (٢٠١٢م)، الشعر النسائي في قرية رافور (البويرة): مقارنة أنثروبولوجية رمزية، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، الجمهورية الجزائرية، جامعة مولود معمري تيزي وزو.

حمّادة الكوسا، عبير فايز، (٢٠٠٧م)، اللون في الشعر الأندلسي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، السعودية، جامعة البعث.

حميدي الحفاني، حسن عبد عودة، (٢٠٠٦م)، الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، العراق: جامعة الكوفة.

عوض، رينا، (١٩٧٤م)، أسطورة الموت والانبعث في الشعر العربي الحديث، رسالة الماجستير مقدّمة إلى دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى، بغداد: الجامعة الأمريكية.

صدقي، حامد؛ عبد الله زاده، فؤاد، (٢٠٠٩م)، «القناع» والدلالات الرمزية لـ «عائشة» عند عبد الوهاب البياتي»، مجلة العلوم الإنسانية الدولية، العدد ١٦ (٣)، صص ٤٥-٥٥.

لازم رمضان، رجاء، (٢٠١٢م/١٤٣٣هـ)، «صورة المطر في المقدمات الطللية: الشعر الجاهلي أمودجاً»، مجلة الأستاذ، العدد (٢٠٢)، صص ٦٤٧-٦٦٤.

يسير، خالد عمر، (٢٠١٤م)، «الأسطورة ووظائفها في ديوان عبد الوهاب البياتي»، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد ١٦، صص ١٢٧-١٤٤.

ب) فارسي

محسني نيا، ناصر؛ اخوان ماسوله، سبيده، (٢٠١٤م)، «بازتاب فرهنگ وادب ايران در شعر عبدالوهاب البياتي»، كاوش نامه ادبيات تطبيقي مطالعات تطبيقي عربي - فارسي (دانشگاه رازی کرمانشاه)، سال ٣، العدد ٢١، صص ٩٥-١١٩.

بازتاب باران و دلالت‌های معنایی آن در شعر عبدالوهاب البیاتی

لیلا یادگاری^۱، ناصر زارع^{۲*}، رسول بلاوی^۳

۱. دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه خلیج فارس، بوشهر

۲. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه خلیج فارس، بوشهر

۳. دانشیار زبان و ادبیات عربی دانشگاه خلیج فارس، بوشهر

چکیده

شاعران معاصر عرب تنها به جنبه دیداری پدیده‌هایی که در طبیعت و در اطراف خود می‌بینند بسنده نکرده بلکه از این مظاهر طبیعی، موضوعات مهمی را خلق می‌کنند که در ایجاد تصویر فنی و ادبی آثار شعری‌شان به آن‌ها کمک می‌کند. عبدالوهاب البیاتی شاعر معاصر عرب تجربه‌ای خاص در این زمینه دارد؛ به همین خاطر پدیده‌های طبیعی به‌ویژه باران در شعر او دارای جایگاه ویژه و معانی متعددی است. بر همین اساس، شاعر به منظور نوگرایی در خلق تصاویر شعری خود و غنی‌سازی آن، واژه باران را به کار می‌گیرد. باران از جمله ابزار بیانی است که شاعر با توجه به کاربرد بسیار این واژه در تعداد قابل توجهی از اشعارش، بدان توجه داشته است. در این پژوهش که بر پایه روش تحلیلی — آماری استوار است، سعی شده است با توجه به نقش باران در دیوان بیاتی، دلالت‌های متعدد منفی و مثبت آن، بررسی و تبیین گردد. باران در شعر بیاتی دارای دلالت‌های مثبت و منفی بسیاری است؛ از این رو در این مقاله به بررسی مهم‌ترین نمادهای مثبت یعنی سرسبزی، انقلاب، زندگی و روشنایی و دلالت‌های منفی یعنی تنهایی، غم، ویرانی و مرگ پرداخته شده است. از بررسی واژه باران در شعر بیاتی، این نتیجه به دست آمد که شاعر در کل، ۱۱۹ بار این کلمه را به کار برده است که ۵۸ بار معنای مثبت و ۴۹ بار معنای منفی داشته و ۱۲ بار نیز در معنای حقیقی آن به کار رفته است. این میزان از کاربرد واژه باران در شعر بیاتی، ناشی از دیدگاه شاعر نسبت به مرگ و زندگی و به دنبال آن، ناامیدی و امیدواری هم‌زمانی است که در وجود شاعر نهادینه شده است.

کلیدواژه‌ها: شعر معاصر عرب؛ عبدالوهاب البیاتی؛ باران؛ دلالت‌های معنایی.